كتاب العدد:

لبنان موطن المرابطين والعلماء والعباد

بدعوة من مركز البحث العلمي في ازهر البقاع اقيمت ندوة ثقافية لتوقيع ومناقشة كتاب:

(لبنان موطن المرابطين والعلاء والعباد)

للمؤلف الشيخ سليم يوسف

كلمة الدكتورة: هيفاء سليمان الإمام

رئيسة تحرير مجلة وميض الفكر للبحوث واستاذة جامعية
h_imamomais@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بدايةً إخوتي وأخواتي، العلماء الأفاضل، اسمحوا لي أن أعتذر إن بدا مني بعض الارتباك أو التلعثم في تقديم قراءة هذا الكتاب، وذلك لرهبة هذا الصرح العظيم وما يمثله في ضميري وفي ضمير كل مؤمن ومسلم من جلالة التقدير والاحترام، فحبورنا هذا مرده الى عطش التلاقي مع مؤسسة ما زالت قابضة على جمر الحق.

وإنني أحيي وإياكم سماحة المفتي الشيخ خليل الميس، متوجهين إليه بالشكر الجزيل على كل الجهود العلمية المبذولة من أجل رفع مستوى العلم والعلماء في هذا البقاع العزيز الغالي، والذي ما فتئ يغذي المؤمنين بخيرات انتاجه.

أتوجه بالشكر الجزيل الى الدكتور نادر جمعة العروبي المؤمن المتزن الفذ، على تشريفه لي بتكليفي هذه المهمة الرائعة، حيث أهداني ما تهواه روحي في استزادة علمية وثقافية عند قراءتي لكتاب العالم المؤرخ الجليل سليم يوسف (لبنان موطنُ المرابطين والعلماء والعباد)، والذي نهلت منه في قراءة احتاجها ويحتاجها كل باحث في تاريخ لبنان الإسلامي.

كما لا يسعني إلا أن أفتخر بعالم هو رئيس للمحكمة الشرعية في البقاع، عصامي شريف، رجل وفيٌّ لدينه ومبادئه في زمن أصبح الوفاء فيه سلعةً مطروحةً للبيع والشراء. إنه القاضي الدكتور يونس عبد الرزاق، الذي أعاد الشرع المؤتمن عليه الى محكمته كي لا يضيع حق ولا يستهان بأمر إلهي فيها.

كما أتوجه بالشكر والعرفان لأستاذي ومرشدي الأستاذ الدكتور حسان حلاق الذي سررت بتقديمه لهذا الكتاب المهم حيث شرح وأضاف إليه من نور علمه التاريخي، مما اعطاه قيمة فوق قيمته الجمة، فأنار به درباً كانت شبه مظلمة.

أما مركز البحث العلمي في هذا الأزهر الشريف فإنه نبراس نور يسضاء به، ورهان فكر وخير للعلم والبحث عن الحقائق الضائعة أو المضيّعة بفعل كسل وإهمال إو طمس وتزوير مشبوه المقاصد.

إننا أيها الإخوة مأمورون بالعمل على إنجاح وتطوير هذا المركز وتنمية ازدهاره، وتنشيطه، من أجل تمكين حضارتنا وتثبيت دعائم حقوقها، كي تبقى للأجيال القادمة منارة علم ترسم خط انتمائهم الى خير أمة، كانت صديقة الشمس حين كانت تأمر بالمعروف وتحارب من أجل أن تنهى عن المنكر.

والآن بين يدينا كتاب: «لبنان موطن المرابطين والعلماء والعباد» الذي هو من تأليف فضيلة الشيخ: سليم عبد اللطيف يوسف، ونشر مركز البحث العلمي في أزهر البقاع.

إن هذا الكتاب هو عمل علمي يستحق التقدير، لأنه يسلط الضوء على مرحلة مهمة أهملها الكثير من المؤرخين، ألا وهي التاريخ الإسلامي للبنان، فقد قدم العالم الشيخ سليم يوسف حقائق تاريخية تعزز الذاكرة الجماعية وتؤكد الهوية العربية الإسلامية وتنمي حضورها الحضاري الأصيل الهادف في هذا اللبنان، من زمن الفتح الإسلامي الى يومنا هذا.

إن أهمية هذا الكتاب الموجود بين أيدينا أنه يثبت وبالأدلة التاريخية والمؤكدة أن لبنان منذ الفتح مسلم بالأصل، عربي الانتماء، قريب منا ينتمي إلينا وإلى أمتنا وحضارتنا وثقافتنا، لبنان هذا كان موطئ أقدام الصحابة الفاتحين المرابطين العابدين المعلمين.

ولا شك في أن لبنان كان مركزاً مهماً لبناء أول أسطول عربي انطلق به أجدادنا الأوائل فوق المياه فاتحين ما وراء البحر بعد أن دان لهم البر. فقد كانت استراتيجية الدولة الأموية وقتذاك، وبعد انتصارها في معركة ذات الصواري هي الرباط في الجزر لحماية السواحل، فأصبح بذلك البحر المتوسط بحيرة عربية إسلامية.

هذا العمل يغني المكتبة العربية والإسلامية بمخزون من المعلومات ترسم للأجيال وضوح الطريق. وتقدم لهم لبنان الذي نريد أي لبنان الذي هو جزء من بلاد الشام العزيزة على قلب رسول الأمة العظيم (صلع)، وليس لبنان سايكس بيكو الذي فرض علينا ليكون خنجرا في خاصرة الأمة وممرا للفتن الطاعنة دائما في قلب العروبة.

ومن المفيد الذكر هنا أن لبنان الحديث لم ينعم بالأمن والأمان وبناء المؤسسات والازدهار الاقتصادي إلا في عهد فؤاد شهاب ورشيد كرامي حيث حصل ما يشبه التماهي مع الناصرية العربية زمن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فأعطته من قوتها قوة وجاءت الحقب التالية لينال من ضعفها ضعفاً.

ويمكننا أن نقول إن سواحل الشام وضمنها السواحل اللبنانية كانت تعتبر أرض رباط بعد الفتح لحماية الدولة الاسلامية وليس العكس، وذلك انطلاقا من حديث النبي (صلع) الذي رواه ابن عساكر مرفوعاً من حديث أبي الدرداء: «أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل منها مدينة من المدائن فهو في رباط، ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد».

والتزاما بالوقت لا بد من جولة سريعة داخل دفتي الكتاب لقراءة حقبة تاريخية شيقة مر بها لبنان منذ بدايات دخول الإسلام إليه مروراً بالصحابة الفاتحين الذين رابط بعضهم في سواحله وكان من أوائلهم أبو الدرداء الأنصاري وبعده سلمان الفارسي –الذي نصح الرسول (صلع) بحفر الخندق – والمتصوفة من العباد الذين أقاموا ورابطوا في جبال لبنان وكانوا بمثابة الرديف للجيوش الإسلامية وحماة لثغورها «نفوسا تبتهل إلى الله وعيونا تحرس في سبيل الله»، فإذا ما دقت ساعة الجهاد أصبحوا عقباناً تشتري الموت.

بداية:

- تكرم سماحة العلامة الشيخ خليل الميس مفتي زحلة والبقاع بتقديم هذا الكتاب بكلمة معبرة جدا، ذاكرا أن بناء الكعبة المشرفة كان من حجارة سبعة أجبل كان منها جبل لبنان. فلبنان اعتز بنا ونحن نفخر بالانتماء إليه فهو صدر الحرف الى ما وراء البحار ونحن أثبتنا بحروف السماء الانتماء إليه عبر العباد الذين رابطوا فيه حماة بناة علماء محدثين.
- أما الدكتور المؤرخ حسان حلاق فقد قدم أيضا لهذا الكتاب واعتبره وثيقة تاريخية وليس كتابا فحسب، وذلك بقوله إن هذا الكتاب هو عمل موسوعي إن لم يكن موسوعةً تاريخيةً مهمة بما يقدمه للقارئ العربي من معلومات غاية في الأهمية اعتمد فيها المؤلف على المصادر الأساسية

لعلماء أوائل زاروا لبنان وكتبوا عنه.

- وبعد... أحببت أن أتوقف عند الإهداء لأهميته الجليلة حيث إن المؤلف الوفي أهدى عمله هذا الى لبنان الذي عرفه من خلال أبحاثه ودراساته، لبنان الذي هو مدرسة العباد والزهاد وحماة الثغور وقلعة المرابطين من صحابة الرسول (صلع) والتابعين من الذين باعوا أنفسهم لله وما زال أحفادهم الى اليوم مرابطين مدافعين عن حق الأمة بالحياة التي تستحق.
- وكذلك فقد ركز المؤلف في صفحات هذا الكتاب على أن لبنان نعم بحركة حديثة ناشطة إبان الفتح الإسلامي عمادها رجالٌ تمتعوا باكبر قدر من الشفافية والصدق مع الله تعالى وهو ما جعل جيرانهم من نصارى الجبل يكبرون فيهم السمو والإخلاص فيقولون عنهم كما ذكر ابن جبير في رحلته: «هؤلاء ممن انقطع الى الله عز وجل فتجب مشاركتهم».
- يمكن لنا أن نضيف للمرابطين أمراء البحر وولاة المدن الساحلية وعمالها وقضاتها وينطبق عليهم وصف المرابطة بحكم تواجدهم الدائم في السواحل.
- في صفحة 13 عرض المؤلف نبذة عن علم التاريخ الذي هو فكر يرمي الى معرفة وفهم الأزمنة كي يثبت قاعدة بناء المستقبل. فقد قدم لنا توثيقاً لأعمال شريحة مباركة من الرجال الأطهار الذين تركوا بصماتهم على تاريخ هذا البلد ساحلا وجبلاً.
- ففي المقدمة تحدث عن علامات فارقة طبعت سمات تاريخ لبنان الإسلامي حيث نزوح القبائل العربية إليه وحركات أخرى سلط المؤلف الضوء عليها في متن الكتاب، وهي حركة المردة والجراجمة ثم الموجات التنوخية ثم المرابطون الذين استقروا لحماية السواحل اللبنانية، ثم العباد والزهاد في الجبل –أي جبل لبنان– وقد أكد أن الفتح الإسلامي كان عملية بناء ممنهج مدروس يسير فيه الدعاة جنباً الى جنب الجنود والمجاهدين.
- وفي صفحة 21 عرض المؤلف نشوء التشيع وآثاره وسيادة الفكر الشعوبي وتفاخر العربي فأضاء على بعض الأمور التي تدعو الى وحدة الكلمة بتحكيم شرع الله الذي لا يفرق بين عربي أو أعجمي إلا بالتقوى.
- وقد عرج في صفحة 24 على تعريف الرباط لغة واصطلاحاً ذاكرا فضله وحكم مشروعيته في الكتاب والسنة، راويا الأحاديث المسندة والحقائق التاريخية وخصص فضل الرباط في بلاد الشام.
- في صفحة 32 تحدث عن ظاهرة الرباط في المدن الساحلية اللبنانية وأهميتها، حيث حرص الباحث المؤلف الشيخ سليم على دراسة الرباط في لبنان منذ الفتوحات الإسلامية الأولى ولا سيما في مدن الساحل كبيروت وجبيل وعرقة وجونية وصيدا والصرفند وعدلون وصور وجبل عامل ومختلف المناطق اللبنانية التي وصلها الفتح العربي الإسلامي.
- كما قدم لنا المؤلف في صفحات هذا الكتاب دراسة عن أوضاع لبنان السياسية والعسكرية والدينية في عهود الصحابة (رض) وأرضاهم، وفي العهود الأموية والعباسية والفاطمية والأيوبية والمملوكية والعثمانية، مع دراسة مفصلة للإمارة التنوخية مظهرا في هذه الدراسة أصل التنوخيين وكيفية وصولهم الى لبنان واتساع إمارتهم ونفوذهم وإسهاماتهم في تاريخ المنطقة ولبنان وقد استمر حكمهم حوالي ثمانية قرون كان دورهم الأساسي فيها حماية الثغور.
- وابتداء من صفحة 48 عرض المؤلف دراسة تاريخية للبنان قبل الفتح، فقد أجرى مقارنة بين أوضاع لبنان قبل الفتح الإسلامي وخلال هذا الفتح، وتوصل الى معلومات مهمة مستندا فيها إلى حقائق علمية موثوقة، وكان حريصا على تحديد المفهوم الجغرافي للبنان والتمييز بين ما عرف قديما باسم جبل لبنان وبين مصطلح لبنان اليوم.
- كما قام المؤلف بمعالجة إشكالية إهمال المؤرخين لدراسة هذه الحقبة الوسيطة من تاريخ لبنان، فقد أنار هذا الجانب وأعطاه اهتماما بالغا فكشف اللثام عن مرحلة الحكم العربي الإسلامي في

ربوع جباله وسواحله وبقاعه.

- بالنسبة لوقائع الفتح في جبل لبنان وعدم تعرض المصادر لذكره، يفهم منه أنه لم يكن معموراً بالكامل بسبب طبيعته القاسية من جهة وعدم خطورة الموجودين فيه من أنباط وغيرهم مما استدعى وصول المسلمين إليه وفتحه.
- كما ذكر المؤرخون أن الأنباط الذين كانوا في الجبل أبدَوا كثيرا من التعاون مع الفاتحين العرب، فقد عملوا عيوناً لهم وكان القائد العام أبو عبيدة يأتمنهم على البريد كما كان لعدالة المسلمين الأثر الكبير عليهم، مقارنة بظلم الروم وعجرفتهم. لذا فإن انتشار الروم والجراجمة أو المردة في جبل لبنان بدأ مع سنة 49هـ/ 669 م وكان برضا السلطات الأموية ومباركتها.
- كما أورد المؤلف معلومات تاريخية مهمة عن الفتح الإسلامي للبنان في عصر الخلافة الراشدية وكيفية فتح المدن الساحلية وفتح الجزر (قبرص وردوس) وكيف استطاع معاوية إقناع الخليفة عثمان بن عفان (رضوان الله عليهما) بغزو البحر وكيف أعد لذلك ببناء أسطول بحري قيل إنه كان مكوناً من 1700 سفينة غزا بها قبرص سنة 28 هـ/649م.
- ومن صفحة 74 تحدث المؤلف عن دور الصحابة والعباد في لبنان وكيفية الرباط في بيروت وطرابلس وجبيل وعرقة وجونية وفي صيدا والصرفند وعدلون وصور والرباط في جزر المتوسط (رودس)، كما في جبل لبنان الذي اعتبره موطن العباد والزهاد.
- وعدد تراجم الصحابة الذين أقاموا فيه فكتبوا صفحاته المشرقة مدافعين عن عروبة لبنان مسطرين تاريخه الإسلامي. فتعالت بوجودهم كلمات الله أكبر في مآذنه وقممه وسهوله ومياهه فأعطت للبنان ثوبا إسلاميا توحيديا ما زالت آثاره باقية الى اليوم.
- ومن الملاحظ أن توافد المرابطين على الثغور الساحلية كان سابقاً على مجيء العباد، فالمرابطون أموا السواحل بدءاً من العهد الراشدي وفيهم بعض الصحابة أمثال أنس بن مالك وأبي هريرة وسلمان الفارسي وأبي ذر وابن مسعود وأبي الدرداء. أما العباد، فقد بدأ توافدهم خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين. فالمرابطة في السواحل كانت لأمرين، وكلاهما فيه معنى الجهاد، أولاً نشر العلم ثم السهر في السواحل لحراسة الدولة.
- من صفحة 139 الى صفحة 347 قدم لنا المؤلف عملاً موسوعياً مهماً لتراجم 153 مرابطا وعابدا ومجاهدا وزاهدا وفاتحا ومحدثا عاشوا في لبنان من بداية وصول الإسلام الى بلاد الشام حتى نهاية الدولة العثمانية، وكان منهم ثلاثون صحابياً وصحابية (وقد خص النساء مشكورا بكوتا من أربعة مقاعد فقط).
- وكان منهم من جمع بين الرباط والعلم والعبادة، ويأتي في مقدمتهم الامام الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمر (رض).
- وختم في صفحة 349 مقدما لنا معلومات عن المؤلف وإنتاجه الفكري.
- وقد تكرم علي مشكورا بإهدائي كتابين هما (صيدا مدينة الرباط والعلماء والذي قدمه تقديما رائعا الأستاذ الدكتور أحمد اللدن رحمه الله) وكتاباً آخر من تحقيقه ودراسته هو (الإعلام بسن الهجرة الى الشام) للمؤلف برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، وهو عمل بالغ الأهمية يشكر على بذله الجهد فيه، لأنه يظهر الأهمية الحضارية لبلدان العالم الإسلامي ذات التأثير البالغ في مسيرة التاريخ ببعديه السياسي والثقافي.

وخلاصة القول أن هذا الكتاب تحدث عن تاريخ هذه البقعة المباركة من بلاد الشام وفيها لبنان، وكيف أنها ستظل عربيةً مسلمةً الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهي إرث مبارك، حررها صحابة رسول الله (صلع) بدمائهم وأعطوها هوية عربية إسلامية ستدوم ما دمنا أهلا للانتساب إلى دين الإسلام.

وأخيرا أشكر لكم حضوركم، كما أشكر المؤلف وأشكر جميع القيمين على مركز البحث العلمي في مؤسسة الأزهر الشريف، على هذه النُدوة القيمة التي جعلتني أكثر علماً، وجعلتني أفخر بأنني مشاركة في إضاءة شمعة بدلا من لعن الظلام.